الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر –الوادي

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

دلالة المكان في رواية " كوابيس بيروت" " لغادة السمان "

مذكرة مكملة لنيل شهادة ليسانس (LMD) في الأدب العربي

☜ إعداد الطالبات:

☜ لعقابي مطيرة

☜ حريز عبد القادر مريم

☜ مدخل صبرين

☜ إشراف الدكتور:

☜ يوسف العايب

السنة الجامعية: 2017-م2018/ 1938-1439هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾ سورة النمل ـ آية 60

قال تعالى:

﴿الم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ﴾ سورة فاطر - آية 27

صدق الله العظيم

شكر وعرفان

شكر وعرفان

الحمد لله الذي انار لنا درب العلم وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا الى انجاز هذا العمل .

نتوجه بالشكر الجزيل والامتنان الى كل من ساعدنا من قريب او بعيد على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهتنا من صعوبات، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور " العايب يوسف"

الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عوننا لنا في تمم هذا البحث ونشكره على صبره وسعه صدره

لا يفوتنا ان نشكر استاذتنا الكرام جميعا بقسم اللغة والأدب العربي ولا ننسى الطالب الفاضل مسعود جغبالة والذي ساعدنا في إيجاد الرواية

مقدمة

يشكل المكان محورا متعامدا ترتبط به في ظله حياة الانسان، فهو ليس مجرد خلفية تدور فيها أحداث الرواية، بل إنه فاعل في أحداث الرواية وعناصرها، حيث يسهم في تفعيل دلالة العمل الروائي، بحيث يرسم البيئة الاجتماعية التي تعبر عن موقف شخصياتها من العالم إذ يحتل اهميه خاصه في تشكيل العالم الروائي ورسم ابعاده ذلك ان المكان مرآة تنعكس على سطحها صوره الشخصيات، وتنكشف من خلالها بعدها النفسي والاجتماعي والثقافي...الخ. انه يساهم في واسمها بمظاهر الجسدية ولبسها وسلوكها، وعلاقتها بسواها.

بناء على ما سبق اكتملت صورة البحث عندنا بان يكون بعنوان " دلاله المكان في رواية كوابيس بيروت" لغادة السمان.

وقد لاحظنا انه لم تعد الدراسات النقدية المعاصرة تنظر الى المكان في الابداعات القصصية بوصفه مجرد خلفية جامده لابد منها، بل لأجل سيرورة الحدث او المنطق ومن هنا انطلقت اهميه البحث، بحيث ان هذا البحث–في حدود العلمي–هو اول مساهمه من نوعها في دراسة هذا الجانب، جانب المكان في " رواية كوابيس بيروت".

ويرجح اهتمامنا بهذا الموضوع في البداية الى مجرد فضول علمي ليتحول ذلك الفضول الى شغف كبير. فعندما قراءنا رواية " كوابيس بيروت" اتضحت لنا خلفيات دلاليه للمكان بامتياز.

ولأننا نميل الى السرد عموما والي الرواية خصوصا فقد كانت هذه الرواية مصدر اساسي بنسبه لنا، ولعل ما دفعنا الى اختيار هذا الموضوع هو اعجابنا الشديد به ورغبتنا في الاطلاع عليه، والاستجلاء الغموض الكامن في الرواية، والغموض في عالم غادة السمان ورواياتها.

ولأن دراستنا تحتوي طابعه تطبيقيا يعتبر فيه المكان وحده اساسية من وحدات العمل الادبي والفني، وظهور الاهتمام المتزايد به ومن هنا من طرح الإشكالية الأتية:

- ✓ ما هو المكان؟ والى اي مدى وفقت الكاتبة في توظيفه؟
- ✓ وكيف تجلت ابعاده وخلفياته الدلالية في رواية " كوابيس بيروت" وبما ان البحث يحتاج الى اعمده تشد بناياته فقد جاءت خطة له تحدد معالم دراسته والتي تتكون من مقدمة ومدخل وفصل نظري وفصل تطبيقي وخاتمة بالإضافة الى قائمة المصادر والمراجع.

اما المدخل فقد قسمناه الى عنصرين تطرقنا في العنصر الأول الى نشأة الرواية السورية العربية والعنصر الثاني نشأة الرواية السورية

واما بالنسبة الى الفصل الاول فقد جعلناه تحت عنوان في المكان وماهيته وأدرجنا تحته ستة عناصر فكان العنصر الأول يحتوي على توطئة والعنصر الثاني على مفهوم المكان والعنصر الثالث أهمية المكان ودوره في الرواية والعنصر الرابع أنواع المكان والعنصر الخامس علاقة المكان بالزمان والعنصر السادس علاقة المكان بالشخصيات.

وبالنسبة للفصل الثاني فقد كان بعنوان تجليات المكان وابعاده الدلالية في رواية " كوابيس بيروت " وأدرجنا تحته اربعه عناصر قد جعلنا في العنصر الأول نبذة عن حياة الروائية والعنصر الثاني تعريف برواية " كوابيس بيروت" والعنصر الثالث ملخص الرواية والعنصر الرابع المكان وانواعه وفي الأخير تناولنا خاتمة شاملة لجميع عناصر البحث.

وقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج السيميائي القائم على الاستنطاق وكشف الدلالات والذي يساهم في فك البنيات النصية المتصلة بالمكان والمنهج الوصفي الذي يصف المكان في تحديد ابعاده ودلالته.

وقد اعتمدنا في دراستنا على عدة مصادر ومراجع التي حلت هذا البحث وصبت في الموضوع ذكر منها غادة السمان " كوابيس بيروت " سيزا قاسم " بناء الرواية دراسة مقارنه لثلاثية نجيب محفوظ، غاستون باشلار، حسن بحراوي بنية الشكل الروائي وغيرهما من المراجع الأخرى التي لازمتنا طيلة دراستنا لهذا الموضوع.

ولقد واجهتنا بعض الصعوبات في جمع مادة هذا البحث التي تمثلت في صعوبة التي تمثلت في صعوبة التوفيق بين الدراسة وبين متطلبات البحث العلمي التي تقتضي التفرغ والبحث المتواصل والدؤوب عن مصادر المادة وجمعها وتشابه المعلومات في الكثير من المراجع، وصعوبة التحصل على المراجع خاصة في مكتبة الجامعة نظرا لكثرة الطلبة المتخرجين الا اننا بفضل الله وعونه ثم توجيه الأستاذ المشرف لنا وتكاتف جهودنا من تخفيف هذه الصعوبات وتجاوزها.

وقبل ان نختم هذه المقدمة نرى انه من الوفاء ومن الواجب ان نتقدم بالشكر الى كل من يستحقه من قريب او بعيد في مقدمتهم قسم اللغة العربية كما نتوجه بخاص شكرنا وامتناننا الى الأستاذ المشرف الدكتور يوسف العايب. الذي عاملنا معاملة القرابة وغمرنا بتوجيهاته وملاحظاته المنهجية القيمة التي حققت لنا ما تطلبه منا هذه الدراسة، كما نتقدم بالشكر الى زميلات البحث وكل من ساعدنا في انجاز ونرجو من الله ن يجد كل قرى لهذا الموضوع الفائدة العلمية والمنفعة الأدبية ونسأل الله تعالى ان ينفعنا بما علمنا ويزدنا علما ويوفقنا الى ما فيه الخير والصلاح.

مدخل

- أولا: نشأة الرواية العربية
- ثانيا: نشأة الرواية السورية

مدخل:

أولا –نشأة الرواية العربية:

مرت الرواية العربية الحديثة منذ نشأتها في القرن العشرين بمراحل متعددة، وقد مثلت هذه المراحل النشأة والتطور لهذا الفن الجديد حتى وصل إلى الواقعية، وهذه المراحل هي:

1- المحاولات التجريبية في التأليف والتعريب والترجمة.

2- البدايات الرائدة والتي ضمت قصص التعليم والتسلية والقصص التاريخي الذي وفق بين التعليم والتسلية والقصة الفنية.

3- أما المرحلة الثالثة فهي الرواية الاجتماعية.

وعن نشأة الرواية العربية في الأدب العربي، فهي نشأة حديثة ترجع إلى مطلع هذا القرن أو قبيله إذا ما اجتهد الباحث في تأجيل النشأة.

"فقد كان أدباء مصر رواد هذا الميدان، حيث استطاعوا أن ينتبهوا إلى هذا الفن الجديد".[1]

"ظهرت البدايات الأولى لهذا الفن مع بداية الصراع بين التأثر بالأدب العربي القديم وبين التأثر بالأدب الأوربي الحديث، ذلك الصراع الذي أخذ شكل الظاهرة الواضحة على الحياة الأدبية في العالم العربي.

تأثرت الأشكال القصصية التي ظهرت في بداية النهضة الحديثة بين الصراع الذي وقع بين أنصار البعث وأنصار التجديد، كما تأثرت بدعاوي الإصلاح الاجتماعي والسياسي الفكري، التي بدأت مع قدوم "جمال الدين الأفغاني" (1838 – 1897م) إلى مصر، وتابع محمد عبده (1845 – 1905م) سيرة أستاذه مع رغبة أكثر في خلق وعي سياسي.

بدأت المحاولات القصصية التجريبية الأولى تعريبا لنماذج غربية عند فريق واحتذاء لشكل المقامة التي عرفها الأدب العربي من قبل عند فريق آخر، بدأت الاتجاهات في فترة زمنية

[1] السعيد الورقي: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة (د ط)، دار المعرفة الجامعية، 1430هـ-2009م، ص15.

واحدة ففي الوقت الذي قدم فيه "رفاعة الطهطاوي" ترجمته لقصة فينيلون مغامرة تليماك قدم "علي مبارك" عمله المؤلف علم الدين في عام 1883م".[1]

وطفقت الرواية تتطور بشكل سريع في القرن العشرين إنتاجًا وابتكارًا. وكانت الرواية العربية قبل الحرب العالمية الأولى على حالة من التشويش والبعد عن القواعد الفنية، وكانت أقرب ما يكون إلى التعريب والاقتباس، حتى ظهور رواية زينب لمحمد حسين هيكل (1914م) التي اتفق النقاد على أنها بداية الرواية من حيث الفن، والتي عالجت الريف المصري...

وعقب الحرب العالمية الأولى، ومع بداية الثلاثينات من القرن العشرين، بدأت الرواية منحًى جديدًا أكثر فنية وأعمق أصالة، وظهرت مع جميع قواعدها وعناصرها الفنية، وكان ذلك على يد مجموعة من الكتاب الذين تأثروا بالثقافة الغربية أمثال طه حسين وتوفيق الحكيم والمازني وغيرهم.

فقد نقلت روايات الأربعينات والخمسينات الإبداع الروائي في الأدب العربي نقلة جديدة، ومن أبرز كتاب هذه الفترة عبد الحميد حودة السحار ويوسف السباعي وإحسان عبد القدوس إلا أن الروائي نجيب محفوظ يعد سيد هذا الميدان، فروايته أضافت إلى عالم الرواية عوالم أوسع وأرحب، ومستخدما تقنيات أكثر إبداعًا وتعقيدًا، وقد أجبرت هزيمة 1967م الروائي العربي إلى إعادة النظر في تيار الرواية الذي كان سائدًا قبل الهزيمة، فظهرت من ثمة أنماط روائية جديدة، فيها ثورة على الأساليب التقليدية كالحبكة والبطل والسرد التاريخي، وقد ظهر بعد هذا جيل من الروائيين العرب سمي بالحداثيين خرجوا عن رؤية الرواية التقليدية وتقنياتها.[2]

وعلى أيدي هؤلاء الكتّاب مثل: حنا مينا والطيب صالح وإدوارد الخراط وطاهر وطار وعبد الرحمن منيف وغيرهم ظهرت رؤية روائية معاصرة وحداثية، ومن أهم سماتها أن الخطاب الروائي تجاوز المفاهيم التقليدية حول الرواية في عصورها الكلاسيكية والرومانسية والواقعية

[1] المرجع نفسه، ص16.

[2] http://safdarjmi.blogspot.com/2010/10/blog-post-821/

الجديدة، وتداخلت أساليبها مع تداخلات العالم الخيالي والواقعي والتاريخي، مما جعلها سواء في حبكتها أو شخوصها، أكثر تعقيدًا وأعمق تركيبًا.

فبذلك وصلت الرواية العربية إلى دنيا النص المفتوح الذي يفضي إلى قراءات متعددة لا تصل إلى تفسير نهائي للخطاب الروائي كما كان الحال في الروايات السابقة.[1]

ثانيا – نشأة الرواية السورية:

واجهت الرواية السورية في نشأتها عددا من المعوقات التي حالت دون انتشارها بشكل كبير وواضح، مجاراة لبقية الصنوف المنتشرة في البلد العربي السوري خاصة والوطن العربي عامة، فلم تزل الرواية السورية في 1967م فنا ناشئًا غض الإهاب يلتمس طريقه بصعوبة خلال عوائق اجتماعية من جهة، ومن خلال منافسة قاسية مع فنون أدبية أخرى أسهل مراسا وأسهل استجابة لدواعي السرعة وربما أقرب إلى تلبية الاحتياجات النفسية للقارئ العربي السوري الذي مازال أكثر استعدادًا للاستجابة إلى الشحنات العاطفية ذات الزخم والتواتر كالقصيدة والقصة القصيرة.

وإذن وبسبب هذه الصعوبات والمعوقات كان لا بد أن يصمد الكتاب والأدباء للتغلب عليها، ونشر فن الرواية بين مختلف البلد العربي السوري انتقالا إلى الوطن العربي بكافة أرجائه، ولكنهم غالبا ما يفضلون أن يجعلوه نوعا من النشاط الاحتياطي معنى أنهم يماسون فنونا أدبية أخرى كالقصة القصيرة والمقالة... إلخ.

ويطوفون بين الحين والآخر إلى ميدان الرواية، لقد فعل ذلك معظم الكتاب السوريون وعلى رأسهم "عبد السلام العجيلي" و"صدقي إسماعيل" و"وليد إخلاصي" و"غادة السمان"... إلخ. أما أولئك الذي اعتبروا الرواية هما أصليا من همومهم والتزموا بها ولو نسبيًا، فنجد في طليعتهم "شكيب الجابري"، ويرى البعض أن رواية الرغيف "لتوفيق يوسف عواد" عام 1939م هي بداية

[1] الموقع نفسه.

الرواية الناضجة فنيا، ويؤرخ لها نشأة الرواية في لبنان، كما أن رواية شهم "لشكيب الجابري" التي نشرت عام 1937م يؤرخ بها نشأة الرواية في سوريا.[1]

إن الرواية في سوريا مرت كغيرها من الروايات العربية من حيث الولادة والتأسيس بعدة مراحل منها مرحلة رسوخ النوع أو التكريس لتنقل مرحلة التجريب.[2]

يرى "حسام الخطيب" رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في دمشق عام 1967 أن الرواية السورية مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: واعتبرها مرحلة الطفولة في حياة القصة القصيرة.

المرحلة الثانية: رآها مسرحا لتغيرات أساسية في سوريا، نتيجة للتمدن ونمو التعليم وازدهار الصحافة.

المرحلة الثالثة: وهي في بداية لنهوض الرواية السورية.

وقد قسمت المراحل كما يلي:

1. مرحلة التأسيس: (1935 – 1960)

إذا تجاوزنا الجدل حول روايات عصر النهضة وما تلاها من أعمال حتى ثلاثينيات القرن العشرين ومدى اقترابها أو ابتعادها من مفهوم الرواية، وأول كاتب يلفت انتباهنا في هذه المرحلة التي ترتبط باسمه هو "شكيب الجابري" من خلال روايته الأولى /نهم/1937 وبعدها /قدر يلهو/1937 و/قوس قزح/1946 و/وداعاً أفاميا/1960، ويأتي بعده "عبد الرحمن آل شلبي" الذي أصدر في هذه الفترة عدة روايات منها: /من المجهولة إلى مايا/1947 و/نشيد كولومبيا/1952 و/الحقيقة تبقى سؤالاً/1969.

[1] جمانة محمد نايف الدليمي: مجلة كفربو الثقافية، الصفحة الرئيسية العدد 29 أيار 2014، (د ص).

[2] محمد رضوان: التجريب وتحولات السرد في الرواية السورية، اتحاد الكتاب العرب، سلسلة دراسات 2، دمشق، (د ط)، 2013م، ص19.

انشغلت بعض الروايات في هذه المرحلة بتصوير العلاقة بين الشرق والغرب من خلال قصة حب آسرة ومثيرة بين شاب وفتاة وما يتبع ذلك من اختلاف في العادات والتقاليد والعقيدة والثقافة فيما حفل بعضها الآخر بالمضامين الاجتماعية وتصوير حياة البسطاء ومعاناتهم.[1]

2. مرحلة التأصيل (1960 – 1990)

شهدت هذه المرحلة انعطافات اجتماعية وسياسية حادة منها: حرب تشرين والحرب الأهلية اللبنانية والصراع بين السلطة والمعارضة بتياراتها المتعددة ما تلاها من اعتقالات واسعة في صفوفها رجالا ونساء والعلاقات المتميزة مع العسكر الاشتراكي وما تبعها من انفتاح ثقافي وتطور تعليمي ونشاط في الترجمة عن اللغات الأجنبية ولا سيما الروسية منها، وكان من الطبيعي أن تستجيب الرواية لهذه التحولات وانعكاساتها في الوعي الاجتماعي ولدى النخب الثقافية والسياسية، فازداد الاهتمام بها كتابة ونقلا وتلقيا، وتابع عدد من كاتبات المرحلة السابقة إصدار أعمالهن الروائية، كما انتقل بعضهن مثل "غادة السمّان"، و"ألفة الإدلبي"، من كتابة القصّة إلى الرواية، وبرزت أسماء جديدة تأثرت بشكل أو بآخر بتيارات الرواية العالمية وبالنزعات الفكرية السائدة آنذاك، وأسهمت في تأصيل الجنس الروائي واكتساب خصوصية فنية.[2]

3. مرحلة التجريب (1990 – 2006)

تميزت بثلاث خصائص:

- الإقبال المتزايد على كتابة الرواية من الجنسين ومن مختلف الأجيال بعدما كانت مختصرة وينظر إليها في بدايات عصر النهضة على أنها عمل مرذول وخاص بالسوقة من الناس.
- ظهور اتجاهات جديدة على مستوى الشكل والمحتوى.

[1] مجلة نضال يوسف: تطور مسيرة إيقاعات الرواية في حلب، الاثنين 7 حزيران 2010، (د ص).

[2] ماجد حمود: الخطاب القصصي النسوي، (نماذج من سوريا)، دار الفكر، دمشق، د ط، 2002، ص154.

- تجاوز الروائيين الحلبيين حدود المدينة والقطب في فضاءات أوسع في البلدان العربية والأجنبية من خلال الترجمة والمشاركة في المسابقات والفوز بالجوائز وهذه المرحلة يتصدرها "محمد معتوق" و"فضيل خرتش".[1] إن كانت متداخلة مع المرحلة التي سبقتها عبر محاولات تجريبية أقرب إلى روح المغامرة منها إلى الإنجاز الملحوظ، ورغم ذلك شكّلت تحولا فنيًا في بنية السرد عبر اقتحام موضوعات جديدة كالوجودية النفسية والواقعية بمختلف تياراتها.[2]

ومن خلال ما سبق نستنتج أن الرواية السورية لم تكن إلا محاولات محتشمة غير واضحة.

ومن أبرز أعلام الرواية السورية:

"حنا مينا"، "عبد السلام العجيلي"، يسين رفاعة"، و"غادة السمان" التي نحن بصدد دراستها.[3]

[1] نبيل سليمان: أسرار التخيل الروائي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، د ط، ص155.

[2] ينظر: محمد رضوان: التجريب وتحولات السرد في الرواية السورية، ص19.

[3] خليل موسى: ملامح من الرواية العربية في سوريا، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2006، ص6.

الفصل الأول

- أولا: توطئة
- ثانيا: مفهوم المكان
- ثالثا: أهمية المكان ودوره في الرواية
- رابعا: أنواع المكان
- خامسا: علاقة المكان بالزمان
- سادسا: علاقة المكان بالشخصيات

أولا :توطئة

يشكّل المكان مكونا من مكونات البنية السردية، حيث يعتبر من أهم المظاهر الجمالية في الرواية العربية المعاصرة، وللمكان أهمية عظيمة داخل الرواية، إذ يستحيل أن نحصل على نص روائي يكون مجرّدًا تماما من عنصر المكان الذي يمثّل فضاءً تتحرك فيه الشخصيات وتدور في ثناياه الأحداث، فلا رواية خارج المكان .ولهذا يعتبر أيضًا المرآة العاكسة لصورة الشخصيات والأحداث في المتن الروائي، مهما يكن فإن الرواية لا بدّ أن ترتبط بالمكان على اختلاف قيمته ودوره في العمل، ويمكن التلاعب بصورة المكان في الرواية واستغلاله إلى أبعد الحدود، فإسقاط الحالة النفسية أو الفكرية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه يجعل للمكان دلالة ودورًا يفوق دوره المألوف كديكور أو وسط يؤطر الأحداث .إنه يتحول في هذه الحالة إلى محاور حقيقية، ويقتحم عالم السرد محّررًا نفسه من أغلال الوصف، وتعدى الأمر ذلك إلى كون المكان ذا أهمية كبيرة في سير الرواية، فالمكان جانب مهم وأساسي في الخطاب الروائي، حيث يتواجد في النص بشتى الأنواع الجغرافية والدلالية، المفتوحة والمغلقة، الحقيقية والمتخيلة، كما يمثل المكان الأرضية التي تشيد عليها جزئيات العمل الروائي كله، وهو القاعدة المادية الأولى التي ينهض عليها النّص، ويستوعب حدثًا أو شخصية وزمنًا، والشاشة المشهدية العاكسة والمجسدة لحركته وفاعليته.

ومنه لا يكون المكان ممثلا للإطار التي تجري فيه الأحداث وتتصارع فيه الشخصيات فحسب، وإنما نظامًا من العلاقات الوثيقة، فضلًا عما يوصله من الإحساس بمغزى الحياة من خلال وظيفته، كونه مركزًا للحدث وعنوانًا للشخصية، يبرز سماءها وانتماءها الاجتماعي، فضلًا عن تحميله للأفكار والمشاعر والحدس، لذا يتداخل مع عناصر العمل الروائي متأثرًا فيها ومؤثرًا عليها.

ثانيا :مفهوم المكان

أ- لغة:

لا تختلف المعاجم العربية في مجملها على ما أسند للفظة مكان من معنى، ويعد لسان العرب لابن منظور أكثر هذه المعاجم عرضا وتفصيلًا لهذه اللفظة، وأغلب المعاجم العربية وحتى القواميس تستند إليها في تعريفها للمكان، وقد أورد ابن منظور: "والمكان الموضع، والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع .قال ثعلب: أن يكون مكان فعالا، لأن العرب تقول : كن مكانَك واقعد مقعدَك، فقد دلّ هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه".

ويذهب ابن سيده إلى أن المكان "جمع أمكنة، فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية، لأن العرب تشبّه الحرف بالحرف، كما قالوا منارة، فشبهوها بفعالة، وهي مفعلة من النور وكان حكمة مناور".

المكان: "الموضع والمكانة، يقال :فلانٌ يعملُ على مكِنَتِه أي على اتّئاده، والمكان المنزلة عند الملِك، والجمع مكانات، ولا يجمع جمع تكسير، وقد مكن مكانه فهو مكين".[1]

وفي معجم الوجيز نجد المكان، وبه :استقر فيه .ومن الشيء :قدر عليه، أو ظفر به. استمكن (من الشيء :تمكن). المكان :(الموضع). (انظر: كون).[2]

وفي التنزيل الحكيم: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا"[3] أي اتخذت لها مكانًا نحو الشرق.

ويرى صاحب مختار الصحاح "المكان: لفظ مشتق من كلمة (م، ك، ن)، وهو الموضع ويجوز أن يراد به على أمكنتها أي على مواضعها".[4]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، (تصحيح) أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999م، ص163.

[2] نبيل عبد السلام هارون: الوجيز، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ط1، 1980م، ص588.

[3] سورة مريم، الآية 16.

[4] الرازي: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، ط1، 1979م، ص630.

وردت كلمة مكان عند اللغويين إذًا بمعانٍ متقاربة تكاد تتفق على أن المكان يعني الموضع (المحل) المكانة الرفيعة، الرزانة والوقار، القوة والرسوخ، الثبات والوجود في مكان ما، كما يطلق المكان على وكنات الطير والمنازل ونحوها.

وللمكان مرادفات تستعمل في اللغة للدلالة عليه، منها: الخلاء،[1] المحل[2] والحيز.[3]

والمكان على ذلك يرد بدلالتين:

1. اسم مكان من (مكان): وهو يستعمل في الحسيات، وجاء في قوله تعالى: "إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا".[4] قال الإمام البغوي: "مكانا شرقيا" أي مكانا في الدار مما يلي المشرق.[5] وفي تفسير الطبري: (مكانا شرقيا): أي تنحت واعتزلت من أهلها في موضع قبل مشرق الشمس دون مغربها،[6] ويستعمل في المعنويات كقوله تعالى: "أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ".[7] قال الإمام البغوي: أولئك شر مكانًا: أي مكانة ومنزلة، ويقال: منزلا ومصيرًا.[8]
2. اسم فعل أمر: بمعنى الزم مكانك، ومنه قوله تعالى: "مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ".[9] أي التزموا أماكنكم أنتم وشركاؤكم...، معناه: ثم نقول للذين أشركوا: الزموا أنتم وشركاؤكم مكانكم ولا تبرحوا.

---

[1] الأزهري: تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، ج7، ص574.

[2] ابن فارس: مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م، ج5، ص302.

[3] القاضي عبد النبي: جامع العلوم في الاصطلاحات القذون، ت: حسن حماني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط)، 2000م، ج2، ص19.

[4] سورة مريم، الآية 16.

[5] معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ، ج1، ص228.

[6] جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط1، 1420هـ، 2000م، ج18، ص162.

[7] سورة المائدة، الآية 60.

[8] معالم التنزيل في تفسير القرآن، المرجع السابق، ج2، ص68.

[9] سورة يونس، الآية 28.

ب- اصطلاحًا:

1) في الفلسفة:

تعددت آراء الفلاسفة في تحديد مفهوم دقيق للمكان ابتداءً من "أفلاطون" و"أرسطو" وانتهاءً بفلاسفة العصر، حيث يرى أفلاطون بأن المكان هو "المسافة الممتدة والمتناهية بتناهي الأجسام". فالمكان غير مستقل عن الأشياء، ويتشكل من خلالها، وبعد أفلاطون "أخذ الاهتمام به يتزايد حتى عده أرسطو ثالث خمسة أشياء مشتملة على الطبائع كلها وهي: العنصر والصورة والمكان والحركة والزمان، فيقول: أن المكان موجود ما دمنا نشغله ونتحيز فيه، وكذلك يمكن إدراكه عن طريق الحركة التي أبرزتها حركة النقلة من مكان إلى آخر، حيث بحث في المكان بحثًا مفصلا في كتاب "السماع الطبيعي" فبين أنه[1] موجود بدليل أنه حيث يوجد جسم فيمكن أن ينتقل عنه ويشغل محله جسم آخر، ومعنى هذا أن المكان يختلف عن أي شيء يتحيز فيه، ثم إن العناصر الطبيعية يميل بعضها إلى فوق وبعضها الآخر إلى تحت، والفوق والتحت ليسا نسبيين فقط، بل الفوق هو الاتجاه الذي تتحرك نحوه النار، والتحت هو الاتجاه الذي تتحرك نحوه الأرض.

ويميز أرسطو الخصائص التالية للمكان:

(1) المكان هو الحاوي الأول.

(2) المكان ليس جزءًا من الشيء.

(3) وهو مساوٍ للشيء المحوي.

(4) وفيه الأعلى والأسفل.[2]

والمكان المشترك على حد قول أرسطو هو الحيز الذي يشغله جسمان أو أكثر.[3]

---

[1] سمية بن هوشة: بنية التشكيل المكاني في رواية مواكب الأحرار لنجيب الكيلاني، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، د. ناصر بركة، قسم اللغة والإشراف العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014م، ص20.

[2] أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، دار الفارس، عمان، الأردن، ط1، 2001م، ص9.

[3] أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، دار الفارس، عمان، الأردن، ط1، 2001م، ص9.

وقد قسم أرسطو المكان إلى قسمين (عام وخاص)، فالعام هو الذي فيه الأجسام كلها، والخاص هو أول ما فيه الشيء، وهو الذي يحويك وحدك، ويشكل المكان العام مجموع الأمكنة الخاصة، أما المكان الخاص فلا يحوي أكثر من جسم في زمان واحد.

وقد تابع أرسطو بعض الفلاسفة العرب كالكندي والفارابي، في حين اختلف عنهم أبوبكر الرازي والحسن بن الهيثم.

وقد عرّف ابن سينا المكان بأنه السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي، ويقال: مكان للسطح الأسفل الذي يستقر عليه جسم ثقيل.

2) في علم الاجتماع:

حاول علماء الاجتماع إيجاد مفهوم آخر للمكان، وذلك بإرجاعه إلى أصول سوسيولوجية؛ فيطالعنا دوركهايم بقوله: "إن مقولات الفكر اجتماعية المصدر، فلقد ولدت مقولات الفكر، ومن ضمنها مقولة الزمان والمكان في باطن الدين، ونشأت عن الدين، فهي إذًا نتاج للفكر الديني، والدين خير ما يمثل المجتمع، إذ أنه ظاهرة اجتماعية من الطراز الأول، نشأت عن المجتمع، ومن هنا كان ما ينشأ عنها اجتماعي الأصل بالطابع، ومن ثم فمقولات الفكر اجتماعية".

والمكان عنده أيضا "لا يصدر صدورًا ذاتيًا أو قبليا عند بنية العقل، كما أنه ليس بالمكان المطلق الذي يتسم بسمة العموم، وإنما هو مكان " نسبي " يحدده موقف الفرد في المكان الفيزيقي والمكان الاجتماعي.

أما عالم الاجتماع موريس ماليفاكس فيذهب إلى "أن الزمان والمكان إطاران اجتماعيان للذاكرة، حيث يكونان الإطار الذي تختزن فيه الذكريات الاجتماعية، وبمعنى آخر يصبح الزمان والمكان شرطين ضروريين لحفظ التراث الثقافي أو الحضاري للمجتمع الإنساني.[1]

والمكان اجتماعيا هو الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، وهو "الذي يمثل أثر العادات والعرف والتقاليد، ونوع العمل السائد في المجتمع وأثر الحضارة عامة على

[1] أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، دار الفارس، عمان، الأردن، ط1، 2001م، ص9 – 13 – 14 – 15.

الفن"، وعليه، يمكن القول إن المكان هو الذي تمارس فيه كل العادات والتقاليد والطقوس التي سادت عليها المجتمعات.[1]

لقد وضع ابن خلدون "خصائص للمكان يجب مراعاتها عند إقامة أي مدنية من حيث صحة إقامتها وملاءمتها للمعيشة الإنسانية، كما عرّفها عالما الاجتماع "ستوكولز" و"شوماخر" (المكان) بوصفه السياق الجغرافي والمعماري للسلوك، كما اعتبر علماء الاجتماع أن "المكان" امتداد للجسم، ومعبرًا عن قاطنيه، فوصف المرء للأماكن وانتقاله عبرها يسمح له بالتعبير عن القيم الفردية الجماعية لقاطني تلك الأماكن، ووصف حالتهم الاجتماعية.[2]

3) عند النقاد والأدباء:

يعد المكان الروائي أو السردي من المفاهيم المفلتة التي يصعب على أي باحث أو دارس أن يضبطه بتعريف جامع مانع، لأنه وبحكم طبيعته يتّخذ أشكالًا مختلفة، ولكن بالرغم من ذلك عرف النقد الروائي بعض المحاولات التي اهتمت بهذا العنصر اهتمامًا واضحًا باعتبار المكان حلقة من حلقات النص الروائي، حيث يقول الدكتور عبد المالك مرتاض في كتابه "تحليل الخطاب السردي": "أن المكان كل ما عنى حيزًا جغرافيًا حقيقيًا، ومن حيث يطلق الحيز في حد ذاته على كل فضاء خرافي أو أسطوري، أو كل ما يتعلق بالمكان المحسوس كالخطوط، والأبعاد، والأحجام، والأثقال والأشياء المجسمة، وما يعتري هذه العناصر الحيزية من الحركة والتفسير، والفضاء هو المجال الطبيعي الذي يحتضن أحداث القصة ويعطيها أبعادها، ويمنحها دلالتها".[3]

---

[1] كوثر فرحات: جماليات المكان في رواية المقبرة البيضاء لأحمد زغب، مذكرة لنيل شهادة الماستر، د. يوسف بديدة، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، 2016/2015م، ص7.

[2] كوثر فرحات: جماليات المكان في رواية المقبرة البيضاء لأحمد زغب، ص8.

[3] عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة – رواية زقاق المدن)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص245.

تقول سيزا القاسم في كتابه "بناء الرواية": "إن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية".[1]

أما الدكتور حميد حميداني فيقول: "المكان مجموعة الأشياء الذي تحيط بنا، مثل: المقهى، الشارع، البيت، الساعة...إلخ، وإن مجموعة الأمكنة هو ما يبدو منطقيًا أن نطلق عليه اسم الفضاء الرواية...".[2]

فالمكان هو الفسحة التي تحتضن عمليات التفاعل بين الأنا والعالم، والمكان يعني بدء تدوين التاريخ الإنساني.[3]

أما عند بنهان حسون السعدون فيعد المكان "مساحة ذات أبعاد هندسية أو طبوغرافية تحكمها المقاييس والحجوم، ويتكون من مواد، ولا تحدد المادة بخصائصها الفيزيقية فحسب، بل هو نظام من العلاقات المجردة، فيستخرج من الأشياء الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد الذهني أو الجهد الذهني المجرد، فالمكان وسط يتصف بطبيعة خارجية أجزائه إذ يتحدد فيه موضع أو محل إدراكاتنا وهو يحتوي... على كل الإمدادات المتناهية، وإنه نظام تساوق الأشياء في الوجود ومعيتها الحضورية في تلاصق وممارسة وتجاور وتقارن".[4]

يقول الجرجاني: "المكان عند الحكماء هو السطح الباطن من الجسم الحاوي الماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي، وعند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم ويتخذ فيه أبعاده".[5]

---

[1] د. سيزا القاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1978م، ص106.

[2] شريبط أحمد شريبط: بنية الفضاء في الرواية غدا يوم جديد، مجلة الثقافة، العدد 115-1997، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة عنابة، ص153.

[3] مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 2001م، ص26.

[4] د. نبهان حسون السعدون: تشكيل المكان في الخطاب السردي، قراءات في السرديات العراقية المعاصرة، دار غيداء، عمان، الأردن، ط1، 2015م، ص11.

[5] د. خالدة حسن خضر: المكان في رواية الشماعية للروائي الستار ناصر (مقال)، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، ع102، ص116-117.

لقد شغل مصطلح "المكان" نقاد الغرب، ولعل أول من لفت أنظار الدارسين لهذا العنصر الروائي "غاستون باشلار" في كتابه "جماليات المكان"، حيث تركزت دراسته حول المكان ذي البعد النفسي وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسة، إلا أننا لم نجد تفريقًا كاملًا لمصطلح "المكان الروائي" في كتابه، حيث صب اهتمامه على البيت وأجزائه، والدلالات التي ترتبط به،[1] يقول غاستون: البيت "هو المكان الأليف، وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه أي بيت الطفولة، إنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة وتشكل فيه خيالنا".

"ويعطي باشلار المكان بعدًا عميقًا يتعلق أساسًا بالإنسان ومشاعره، ويوضح أكثر فيقول: أن الإنسان يبدأ حياته بمكان أول هو البيت، فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا، أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة، حيث هو جذر المكان، والكاتب حينما ينقلنا إلى قلب بيت ما، فكأنه ينقلنا إلى قلب قوة مغناطيسية إلى منطقة أمان كبرى...".[2]

أما الباحث الروسي "بوري لوتمان" فقد ورد في كتاب جماليات المكان لجماعة من الباحثين عن دراسته للمكان "فالمكان هو مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر، أو الحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة...إلخ) تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية، مثل: الاتصال...المسافة...".

ويجب أن نضيف إلى هذا التعريف ملحوظة هما وهي أنا إذا نظرنا إلى مجموعة من الأشياء المعطاة على أنها مكان يجب أن تجرد هذه الأشياء من جميع خصائصها، ما عدا تلك التي تحددها العلاقات ذات الطابع المكاني التي تدخل في الحسبان.[3]

أما غريناس فيربط مفهوم المكان عنده بالخطاطة السردية إذ لا يعتبر في نظره المكان مجرد فضاء فارغ تصب فيه التجارب الإنسانية إنما يتعلق بما تمليه عليه الخطاطة السردية.

---

[1] كوثر فرحات: جماليات المكان في رواية المقبرة البيضاء لأحمد زغب، مذكرة لنيل شهادة الماستر، د. يوسف بديدة، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، 2016/2015م، ص14.

[2] غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، دار المجد، بيروت، لبنان، ط2، 1984م، ص6-56.

[3] مجموعة من المؤلفين: جماليات المكان، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2، 1988م، ص69.

كما كان هناك عديد الباحثين الفرنسيين في الستينات والسبعينات أولوا اهتمامًا بدراسة المكان، من أبرزهم (جورج بولي، وجليردوران، ورولان برونوف)،[1] ومع اختلاف الدارسين في تحديد مفهوم المصطلح اختلفت تسمياته، فالبعض أطلق عليه اسم الحيز المكاني، والبعض الآخر المكان، وآخرون الفضاء، وقد ورد هذا الأخير في اللغة بمعنى "المكان الواسع من الأرض"، فإنه في الاصطلاح الحيز الزمكاني الذي تتمظهر فيه الشخصيات والأشياء متلبسة بالأحداث تبعًا لعوامل عدة تتصل بالرؤية الفلسفية وبنوعية الجنس الأدبي وبحساسية الكاتب.[2]

إن الفضاء الروائي لا يرتبط بالزمان والمكان فحسب، على الرغم من تلازمهما الوثيق، إذ لا يوجد زمان بلا مكان ولا مكان بلا زمان، بل يدخل في "علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد، كالشخصيات والأحداث والرؤى السردية"، وبهذا يمكن القول إن المكان والبيئة الموصوفة يؤثران في الشخصية، ويحفزانها على القيام بالأحداث، بل يدفعان بها إلى العمل، وبذلك فإن وصف البيئة والمكان هو وصف الشخصية. أما ما يخص الحدث فيكون القول إن بناء الفضاء الروائي يكون مرتبطًا بخطية الأحداث السردية، ومن ثم يكون المسار الذي يتبعه السرد.[3]

وما دامت الأمكنة في الرواية غالبا ما تكون متعدّدة وترد متفاوتة، فإن فضاء الرواية يلفها جميعًا، فهو العالم الواسع الذي يشمل مجموعة الأحداث الروائية؛ فالمقهى أو المنزل أو المساحة، كل منها يعتبر مكانًا محدّدًا، ولكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأماكن كلها، فإن جميعها يشكّل فضاء الرواية، ومن خلال هذا التعريف يتبين لنا وكأن المكان محدد وإذ يدخل ضمن الفضاء، ويعطى ذلك المكان المحصور الذي حدد بالحيز المكاني لفضاءات مختلفة من خلال تفاعله مع جميع عناصر الرواية الأخرى، كالسرد والشخصيات والزمان.

---

[1] كلثوم مدقن: دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح (مقال)، مجلة الأدب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، ع4، 2005م، ص140، 142.

[2] أحمد زنبير: جمالية المكان في قصص إدريس الخوري، دار التوحيدي، الرباط، ط1، 2009م، ص28.

[3] صلاح الدين محمد حمدي: الفضاء في رواية عبد الله عيسى السلامى، مجلة الأبحاث، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العراق، مج11، ع1، جوان 2011م، ص198.

ثالثا: أهمية المكان ودوره في الرواية

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، ويعد أحد الركائز الأساسية لها، لا لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه المكان الذي تجري وتدور فيه الحوادث، وتتحرك من خلال الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات وما بينها من علاقات، ويمنحها المناخ الذي تفعل فيه، وتعبر عن وجهة نظرها، ويكون هو نفسه المساعد في تطوير بناء الرواية، والحامل لرؤية البطل، والممثل لمنظور المؤلف، وبالتالي يمكننا القول إن العمل الأدبي يفقد خصوصية أصالته إذا فقد المكانية والمكان في الرواية يجب أن يكون عاملًا، وفعالا وبناء، فيها سواء أكان هذا المكان باهتًا، أم كان واضحًا، أم عاصفًا في حركته، أم ساكنًا في ثقله، متدفقًا في سيولته، أم كثيفًا أم ضاغطًا. والمكان لا يعتبر عنصرًا زائدًا في الرواية فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معانٍ عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله، "فإن تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئًا محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها أنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح، وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير، وقد أكد هنري ميتران على أهمية المكان، عندما جعل الوعي عاملًا فعالا في الصيغة التشكيلية للمكان، حيث يقول: "المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة".[1]

يؤكد رولان بورنوف في سياق حديثه عن أهمية المكان في البنية السردية أن المكان بإمكانه أن يصبح محددا أساسيًا للمادة الحكائية ولتلاحق الأحداث والحوافز، أي أنه يتحول في النهاية إلى مكون روائي جوهري يحدث قطيعة مع مفهومه كديكور بتحوله هذا يصير عنصرًا متحكما في الوظيفة الحكائية والرمزية للسرد، وذلك بفضل بنيته الخاصة والعلائق المترتبة عنها. يتحول

[1] حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000م، ص65.

المكان إلى بؤرة ومركز رئيسي يبرز فيه التوجه الفكري للأديب فهو مانح الهوية، وصابغ للمعنى على الشخصيات والأحداث، فهو بؤرة النص في العالم الروائي والعالم الإنساني معًا.[1]

يؤدي المكان دورًا كبيرًا في عملية الإبداع لأن النص الأدبي لا بد له من وعاء يحتضن أحداثه، إذ يجسد المكان الحاضنة الاستيعابية والإطار العام الذي تتحرك فيه الشخصيات وتتفاعل معه، وأي نص مهما كان جنسه الأدبي لا بد أن يتوافر على هذا العنصر ما دام فعل الحكي هو الأساس الذي ينطلق منه ويعود إليه ويتمظهر من خلاله وبواسطة آلياته وقوانينه، وبهذا يتشكل للمكان استقلال نسبي ووجود ثابت أو الملح المميز له هو الوحدة المتكاملة للخواص التي يرتبط معها ويتفاعل بها مع الأشياء الأخرى، لأن المكان يعنى في كل ثقافة على نحو مختلف، وأن كل ثقافة مهيأة لاحتواء أماكن بالغة الاختلاف ومتضمن مراتب متنوعة من الأماكن.[2]

رابعًا: أنواع المكان

أ- المفتوح:

(المكان المفتوح حيز مكاني خارجي لا تحده ضيقة، وهذا النوع من المكان لا يعني أنه يشكّل حالة استثنائية عن بقية الأنواع الأدبية، وهو يتجسد بالنسبة للبطل، فيما يجول في ذاكرته، فتصبح بالنسبة للبطل وكل من حوله مكانًا تاريخيًا، المكان الذي يستحضر لارتباطه بمعهد مضي أو لكونه علامة في سياق الزمن، وهكذا يتخذ المكان شخصية زمانية).[3]

"غير أن الأماكن المفتوحة تتحكم بالشخصيات ويجري في خضمها، فهو الحياة لأنها مسرح لحركة الشخصيات وتنقلاتها، وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة، مثل: الشوارع والمحطات وأماكن لقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي".[4]

---

[1] إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، (ب ط)، 2002م، ص

[2] د. نبهان حسون السعدون: تشكيل المكان في الخطاب السردي، قراءات في السرديات العراقية المعاصرة، دار غيداء، عمان، الأردن، ط1، 2015م، ص11.

[3] خالد سعيد: حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العودة، بيروت، ط2، 1982م، ص30.

[4] حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي: المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م، ص40.

(المكان المفتوح عكس المكان، والأمكنة المفتوحة عادة تحاول البحث في التحولات الحاصلة في المجتمع، وفي العلاقات الإنسانية الاجتماعية ومدى تفاعلها في المكان. إن الحديث عن الأمكنة المفتوحة هو حديث عن أماكن ذات مساحات هائلة توحي بالمجهول، كالبحر والنهر، أو توحي بالسلبية كالمدينة، أو هو حديث عن أماكن ذات مساحات متوسطة كالحي، حيث توحي بالألفة والمحبة، أو هو حديث عن أماكن ذات مساحات صغيرة، كالسفينة والباخرة كمكان صغير، يتموج فوق أمواج البحر، وفضاء هذه الأمكنة قد يكشف عن الصراع الدائم بين هذه الأمكنة كعناصر فنية، وبين الإنسان الموجود فيها. من هذه الأماكن ما يحقق الإنسان المودة والحب، كالحي الشعبي، ومنها ما يحمله الحياة والموت والإرادة والسمو والفشل والخيبة، ورغم ذلك فهو مكان إيجابي للإنسان، كالبحر، ومنها ما هو حاضن للوجود الإنساني).[1]

ب- المغلق:

"هو المكان الذي يكتسي طابعًا خاصًا من خلال تفاعل الشخصية معه، أو من خلال مقابلته بفضاء أكثر انفتاحًا واتساعًا، فالمكان له علاقة مباشرة بالفقدان والانفصال واللاتوازن، فهو مرجع علامي ممتلئ دلاليًا".[2]

"يمثل غالبا الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيق بكثير بالنسبة للمكان المفتوح، فمثلا نجد أن مكان السجن مكان مرعب مظلم، رهيب، موت معنوي ومادي لأنه يتصف بالضيق والمحدودية".[3]

(يجسد المكان المغلق في النصوص في شكل صورة مكانية مختلفة مألوفة، مثل الدار والمدينة والوطن، وتتصف هذه الصورة بصفات معينة مثل "الألفة" أو "الدفء" و"الأمان"، ويتعارض

[1] مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 2011م، ص95.

[2] يوسف جحيقة: مكونات الخطاب السري في رواية "الحالم" لسمير قسيمي، مذكرة الماستر في الأدب الجزائري، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، 2017/2016م.

[3] أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دار الأمل للطباعة والنشر، (د ط)، 2009م، ص62.

هذا المكان المغلق مع المكان "الخارجي" المفتوح، ومع سماته، ومنها "الغربة" و"البرود" و"العدوانية")."[1]

خامسا: علاقة المكان بالزمان

"يتضمن المكان الزمن بشكل أو بآخر، فالمكان

تجربة حياتية يحدد وجودها واستمرارها الإنسان في تشكيل المكان وإبداعه، وعندما نتحدث عن مكان، فإننا نتحدث عن زمانه، ولذلك يعد الزّمان أحد أبعاد المكان".[2]

"ويختلف تجسيد المكان في الرواية عن تجسيد الزمن حيث أن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية، أما الزمن فيتمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها. وإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه، فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث. وهناك اختلاف بين طريقة إدراك الزمن وطريقة إدراك المكان؛ حيث أن الزمن يرتبط بالإدراك النفسي، أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي".[3]

"ولا شك أن مسألة ارتباط الفضاءين شيء وارد لا سبيل لإنكاره أو تجاهله، فلا مكان بدون زمانه، لذا فالإحساس بفعالية المكان رهين بالإحساس بفعالية الزمان. هما بعبارة أخرى: وجهان لعملة واحدة. ومهما اختلفا أو تقاطعا، فهما يشكلان –مع باقي المكونات الأخرى–بنية قصصية تعكس رؤية المؤلف لعالمه".[4]

ونظرًا للعلاقة الهامة التي تربط الزمان بالمكان فقد استعير مصطلح الزمكان المستخدم في العلوم الطبيعية، وأدخل في مجال الأدب؛ لأنه يعبّر عن الترابط الوثيق بين المكان والزمان على حد تعبير ميخائيل بختين، الذي يقول: "ما يحدث في الزمكان الفني الأدبي هو انصهار علاقات المكان والزمان في كل واحد مدرك ومشخص. الزمان هنا يتكثف، يتراص، يصبح شيئا

[1] مجموعة من المؤلفين: جماليات المكان، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2، 1988م، ص81.

[2] مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 2011م، ص35.

[3] د. سيزا القاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1978م، ص106.

[4] أحمد زنبير: جمالية المكان في قصص إدريس الخوري، دار التوحيدي، الرباط، ط1، 2009م، ص22.

فنيا مرئيا، والمكان أيضاً يتكثف، يندمج في حركة الزمن والموضوع بوصفه حدثاً أو جملة أحداث التاريخ. علاقات الزمان تتكشف في المكان، والمكان يدرك ويقاس بالزمان. هذا التقاطع بين الأنساق، وهذا الامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان الفني".

وعلى النقيض من هذا الرأي نجد من يقول: "إن المكان هو فكرة حسية نقدر أن نعاينه ونتثبت منه، بينما الزمان مقولة تجريدية خادعة ومضللة. إننا لا نستطيع أن نلمسه ونراه، مع أنه (هو الهواء الذي نتنفسه) هو التاريخ، هو العمر، هو مدمر الحب ومغير طبيعته، هو ذلك المعيار الشخصي المختلف من فرد إلى آخر، والذي يملك له كل واحد منا مفتاحًا خاصًا يديره على هواه".[1]

"فالزمان والمكان على حد تعبير إنريكي إمبرت هما مسرح الأحداث، فإذا كانت الرواية في المقام الأول فنا زمنيًا يضاهي الموسيقى في بعض تكويناته، ويخضع لمقاييس، مثل: الإيقاع ودرجة السرعة، فإنها من جانب آخر تشبه الفنون التشكيلية من رسم ونحت في تشكيلها للمكان".[2]

"ومنه فالمكان يكتسب حيويته ونشاطه من خلال تعالقه مع الزمن، لأن دلالة المكان لا يمكن القبض عليها إلا باتصاله مع الزمن، فالزمن لا بد له من مكان يحتويه ويجري في فلكه، فلكي يبرز تأثير الزمن على النص لا بد أن يدخل هذا الأخير مع المكان في علاقة حميمية، ولهذا يعد المكان العنصر الهام الحيوي للزمان".[3]

[1] أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، دار الفارس، عمان، الأردن، ط1، 2001م، ص125-126.

[2] د. شعبان عبد الحكيم محمد: الرواية العربية الجديدة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014م، ص78، 79.

[3] إسماعيل زعودة: بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، محمد عباس. قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بقايد تلمسان، 2014، ص167.

سادسا: علاقة المكان بالشخصيات

"ارتبطت الشخصية بالمكان ارتباطًا وثيقًا، بحيث لا يمكن تصور وجود مكان حي بلا شخصيات أو شخصيات حية بلا مكان، ولذا فإن الشخصيات هي التي تمنح المكان وجودًا أثيرًا ومنتجًا قابلا للتأثير، وانتزاع الإعجاب وقوة الإبلاغ، ولا سيما حين تحضر الشخصية بكثافة عالية، وحضور حي وحيوي وفعال في المكان، على النحو الذي يظهر جليا طابع الشخصية من خلال الاسم على المستوى الخارجي، بحيث ألفينا في تلقينا القرائي كثيرا من الكتاب يميلون إلى اختيار أسماء الشخصيات ليجعلوها عناوين بارزة لأعمالهم الأدبية، مما يجعل حضور الشخصية أمرا ضروريا ذا سلطة قوية حتى على المبدع نفسه، أو يختارون أسماء الأماكن لتحظى بها الرواية، ويكون المكان عنوانًا لها".[1]

"إن المكان بالرغم من أهميته بالنسبة للرواية إلا أنّه لا يتبلور، ولا يتشكل إلا من خلال الشخصيات التي تشغله، وتصنع الأحداث، وتكشف على أثر المكان بها وأثرها في هذا المكان، أي إنّ الشخصيات تضفي على المكان دلالات مجازية يحققها المؤلف من خلال نزوع الشخصيات البطلة في خلق نظام مكاني يؤسس ضمن فوضى المكان الذي يزجهم فيه المؤلف، والذي يحقق أيضًا منظوره الفلسفي والجمالي من جانب، ومنظور أبطاله الأيديولوجي والنفسي من جانب آخر".[2]

فالمكان في الرواية ليس مجرد ديكور، بل هو الذي يؤطر الحدث الذي ينشأ عن فعل الشخصية، وبالتالي فإن وجود الشخصيات داخل الأحداث هو الذي يساعد على تشكيل المكان، أي أن جغرافية المكان من ملامح وأبعاد هندسية تتحدد من خلال حركة الشخصيات فيه، وبما أن "كل حكاية هي حكاية شخصيات"، فإنه يمكن القول إن كل حكاية مكان بالنظر لهذه العلاقة وشائجية بين الشخصية والمكان، إذ أن أبعاد المكان بدورها تتحكم في حركات

---

[1] محمد صابر عبيد: فضاء الكون السردي (جماليات التشكيل القصصي والروائي)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015م، ص178.

[2] مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 2011م، ص118.

الشخصية وأفعالها "إن هندسة المكان تساهم أحيانًا في تقريب العلاقات بين الأبطال أو خلق التباعد بينهما".[1]

ومنه تشكّل الشخصية في الرواية عنصرًا هامًّا من عناصر العمل الروائي. ولا تظهر تلك الأهمية إلا بعد أن يتم ربطها ببقية العناصر الأخرى، ولا سيما المكان الذي يمنح تلك الشخصية الهوية التي تميزها عن باقي الشخصيات الأخرى، لذلك فإن العلاقة بين الشخصية والمكان تتعدى حدود العلاقة التشكيلية، لأن المكان لم يعد إطارًا خارجيًا جامعًا لحركة الشخصيات، بل إن المكان الروائي تجاوز الوجود السطحي المرتكز على البُعد الجغرافي والفيزيائي، فقد أصبح يحدد سلوك الشخصية واتجاهاتها، زيادة على أن تقاليد المكان وأعرافه تحكم نفسية الشخصيات وممارستها. لذلك، يحتل المكان دورًا بارزًا في الكشف عن عالم الشخصية النفسي، إذ أن المكان يقوم بتجسيد إحساس الشخصية.[2]

[1] عمر عاشور (ابن الزيبان)، البنية السردية عند الطيب صالح، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2010م، ص38، 39.

[2] أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، دار الفارس، عمان، الأردن، ط1، 2001م، ص113.

الفصل الثاني

- أولا: نبذة عن حياة غادة السمان
- ثانيا: التعريف برواية "كوابيس بيروت" (1976م)
- ثالثا: ملخص رواية "كوابيس بيروت"
- رابعا: المكان

غادة السمان
كوابيس بيروت
منشورات غادة السمان
الطبعة التاسعة

أولا – نبذة عن حياة غادة السمان

تعتبر غادة السمان من أبرز الروائيين في سوريا، ولدت بدمشق عام 1942م، كان والدها أستاذًا جامعيًا، عاشت بقرية شامية، ونشأت على الصبر والإرادة وحب العمل والاطّلاع، حيث كان والدها حريصًا على تعليمها الفرنسية كأول لغة ثم العربية والقرآن الكريم ليستقيم لسانها، تحصلت على البكالوريا العلمية، أعلنت العصيان وقررت دراسة الأدب الإنجليزي، وتبلورت بعض أفكارها أثناء الدراسة الجامعية، عملت كموظفة في مكتبة، ثم أستاذة للغة الإنجليزية في الثانوية، وانتقلت إلى دمشق وبيروت عام 1946م بنية متابعة دراسة الماجستير في الأدب الإنجليزي، كما سافرت إلى لندن على أمل إعداد الدكتوراه في الأدب الإنجليزي، لكنها فشلت.

عملت غادة في الصحافة التي اعتبرتها أكثر ملاءمة لطبيعتها، وكانت حصيلة ذلك كتاب ليلة الغرباء (صيف 1966م)،[1] وقد أظهرت غادة وقتها نضجًا كبيرًا في مسيرتها الأدبية، وجعلت كبار النقاد آنذاك يعترفون بها وبتميزها، ورغم أن توجهها الفكري أقرب إلى الليبرالية الغربية، إلا أنها ربما كانت حينها تبدي ميلا إلى التوجهات اليسارية السائدة آنذاك في بعض المدن العربية.[2]

ومن أبرز أعمالها الأدبية:

مجموعة قصصية:

- عيناك قدري 1962م.
- لا بحر في بيروت 1963م.
- ليل الغرباء 1966م.[3]

مجموعة شعرية:

- حب 1973م.

[1] عبد العزيز شبيل: الفن الروائي عند غادة السمان، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة تونس، ط1، 1987م، ص24-28.

[2] فندق ويكيبيديا الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org/wiki

[3] عبد العزيز شبيل: الفن الروائي عند غادة السمان، ص33، 34.

- أعلنت عليك الحب 1976م.
- الحب من الوريد إلى الوريد 1981م.
- اعتقال لحظة هاربة 1979م.[1]

الروايات:

- بيروت 1975م.
- كوابيس بيروت 1976م.
- الجسد حقيقة السفر 1979م.
- السياحة في بحيرة الشيطان.
- مواطنة متلبسة بالقراءة 1979م.
- صفارة إنذار داخل رأسي 1980م.
- ليلة المليار 1986م.[2]

ثانيا – التعريف برواية "كوابيس بيروت" (1976م)

كوابيس بيروت واحدة من مجموعة الروايات الطويلة للكاتبة السورية غادة السمان، تم إصدار الطبعة الأولى منها في أكتوبر عام 1976م، وهذه الرواية هي مجموعة مذكرات للكاتبة أثناء الحرب الأهلية في لبنان، تكتبها مباشرة من قلب الحدث.

بدأت غادة السمان في كتابة هذه المذكرات ليلة 13 نوفمبر 1975م، وانتهت من كتابتها في 27 فيفري عام 1976م، نشرت هذه المذكرات أول مرة مسلسلة في إحدى المجلات اللبنانية مع أوائل عام 1976م، ولكنها توقفت عن نشرها في أوت من نفس العام، اعتبارًا من كابوس رقم 106.

صدرت هذه المذكرات بعد ذلك لأول مرة على شكل رواية عن منشورات غادة السمان في أكتوبر 1976م، ومنذ ذلك الحين صدرت منه عدة طبعات، آخر ما وجدته كان الطبعة السابعة

[1] المرجع نفسه، ص34.

[2] المرجع نفسه، ص34.

في عام 1994م، ترجمت هذه الرواية إلى لغات عدة، منها البولينية، الروسية، الألمانية، الإيطالية، الفرنسية والإنجليزي.

وقد رصدت الكاتبة في هذه الرواية مناخات بيروت عند تفجر أزمة الحرب اللبنانية، كما ترصد أوضاع المثقفين والسياسيين والناس العاديين، حيث رائحة البارود والفساد تزكم الأنوف. الرواية تؤرخ لمرحلة عصيبة كانت الحرب الأهلية فيها تمزّق العلاقات البشرية التي لا جذور حقيقية لها، حيث تلتهم الحرائق كل شيء في هذه المدينة يرقص على إيقاع سقوط القذائف والصواريخ.

ثالثا – ملخص رواية "كوابيس بيروت"

عرضت غادة السمان هذه الكوابيس الدامية في شكل سلسلة من الكوابيس، فمثلا كانت تبدأ كل مقطع بعنوان "كابوس1" وهكذا دواليك وكان آخرها كابوس 197، وآخر سمي ب "حلم1".

يلفت النظر في البداية الإهداء غير الاعتيادي، حيث اختارت الكاتبة إهداءه إلى عمال المطبعة الذين يعملون بالخفاء وتحت القصف، دون أن يعرف عنهم أحد، ودون أن تدون أسماؤهم في الأعمال الأدبية.

تبدأ الرواية بالكاتبة وهي تحاول بمساعدة أخيها إخلاء منزلها من النساء والأطفال وأخذهم لمكان آمن نسبيا وبعيدًا عن القصف، ولكنها ما إن تعود إلى شقتها بعد عملية الإخلاء الناجحة حتى تفاجأ بأن فندق الهوليداي إن الذي يقف أمام بيتها مباشرة قد تعرض للاحتلال من قبل المسلحين، وهنا تجد نفسها عالقة في شقتها في قلب الأحداث وفي قلب الطلقات النارية، غير مجهزة بالموارد الغذائية مع احتمال انقطاع الماء والكهرباء عنها، وهنا تتساءل الكاتبة عن جدوى الأدب والشعر في هذه الحالة وتتمنى لو أنها تعلمت بعضًا من فنون القتال للدفاع عن النفس في مواقف عصيبة كهذه.

تدور الأحداث بعد ذلك عندما تجد الكاتبة نفسها حبيسة في منزلها مهددة بالخطر، كما تحتوي الرواية على عدد كبير من المشاهد الخيالية، كرحلة السيد موت ومغامرتها في متجر بائع الحيوانات الأليفة، والجولة الليلية لدمى عرض المتاجر في شوارع الحمراء بين ضواحي المدينة،

تنتهي الرواية بمجموعة من مشاريع الكوابيس بالإضافة إلى الحلم الوحيد فيها لتكتمل هذه اللوحة الفنية الرائعة.

رابعا – المكان:

"يعد المكان مفتاحًا من مفاتيح استراتيجية القراءة بالنسبة للخطاب النقدي، ويشكل محورًا من المحاور الرئيسية التي تدور حولها نظرية الأدب، ويكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة ودلالة خاصة، فهو ليس فقط مكانًا فنيًا، وليس فقط عنصرًا من عناصر الرواية، وإنما هو المكان الذي تجري فيه الحوادث وتتحرك فيه الشخصيات، ويعتبر عنوان رواية كوابيس بيروت مكان في حد ذاته كون الأحداث تجري في مدينة بيروت حيث يعد العنوان من أهم عناصر العتبات النصية وملحقاتها الداخلية، كونه مدخلا أساسيا في قراءة الإبداع الأدبي والتخيلي بعامة، والروائي بخاصة، ومن المعلوم كذلك أن العنوان هو نص موازٍ مكثف جدًّا، وإشارة النص الأولى، فهو الذي يوجه قراءة الرواية وهو "المفتاح الذي تحل به ألغاز الأحداث وإيقاع نسقها الدرامي وتواترها السردي، علاوة على مدى أهميته في استخلاص البنية الدلالية للنص، وتحديد سمات الخطاب القصصي، وإضاءة النصوص بها".[1]

ومن يقرأ رواية "كوابيس بيروت" يجدها تغوص في المكان من خلال العنوان، فهو الذي يحمل دلالات عدة، تصف المكان بصفات محددة بجميع إطاراتها الاجتماعية والنفسية. إن عنوان الرواية يمثل مفتاح قراءة النص منذ الوهلة الأولى ويوجه القارئ نحو الغوص في العمل الأدبي.

وتبدو هيمنة المكان في عنوان الرواية جلية، فهو موجز ومختصر يتشكل من مفردتين لا تنتميان إلى نفس الحقل، فكل مفردة لها دلالتها الخاصة، فمفردة كوابيس تحمل دلالات مناقضة للأحلام، فبقدر ما كان الحلم وعدًا بالأمل والخير، بقدر ما كانت الكوابيس مرآة للواقع البشع.

لذلك كانت الأحلام ارتفاعًا، والكوابيس انزلاقًا إلى القاع والداخل.

"وجدتني أنزلق إلى بئر النوم والكوابيس بدلًا من التحليق في سحب الأحلام".

[1] علي رحماني: سيميائية العنوان في روايات محمد جبريل (الأسوار، حكاية الفصول الأربعة، حكايات وهوامش من حياة المبتلى)، الملتقى الدولي الخامس (السيمياء والنص الأدبي)، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، ص15-37.

وذلك أيضًا كانت الرواية كلها سلسلة من الكوابيس البشعة للحلم فيها إلا في آخر فصل من الرواية، ولا تقتصر هذه الكوابيس على عالم البطلة الذهني فحسب، إنما اكتسحت العالم الخارجي أيضًا، أما المفردة بيروت فتشير إلى ساحة الحرب في لبنان، هذه المدينة الجميلة التي أنهكتها الحرب الأهلية بين أبنائها، وتحكي البطلة تجربتها في هذه المدينة حيث حبست داخل بيتها جراء القصف، وقد أظهرت الكاتبة معاناة المدينة وصرخات أهلها خلال هذه الحرب التي دمرت جمال هذه المدينة.

وقد احتوت الرواية على عديد من الأمكنة المفتوحة والمغلقة، وهي كالتالي:

أ. الأماكن المفتوحة ودلالاتها:

تكتسي الأماكن المفتوحة أهمية بالغة في الرواية، إذ أنها تساعد على "الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها"،[1] ومن هذه الأماكن نجد:

1. المدينة: "للمدن في الرواية حضور متميز، سواء كان حضورها مباشرا أي تأتي إطارا مكانيًا لأحداثها الروائية، أم كان غير مباشر، تأتي عبر ذاكرة الشخصيات الروائية، فهي لم تعد مجرد مكان للأحداث بل استحالت موضوعًا، خاصة مع تنامي العوامل الداخلية والخارجية فتبقى مجموعة من المسافات لها أبعادها الاجتماعية والنفسية والفكرية والسياسية".[2]

وقد وردت مدينة بيروت في أكثر من موضع في الرواية حيث كانت مركز الأحداث في قولها: "وكانت السيارة تركض بنا في شوارع بيروت في أواخر الربيع الماضي".[3]

"أراهم هناك يرقصون الدبكة فوق التلة المشرفة على بيروت التي تحترق".[4]

---

[1] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص79.

[2] الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي، دراسات في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص256.

[3] الرواية، ص30.

[4] الرواية، ص52.

"وسنتحدث قليلا عن الطقس والأسعار والغلاء ورائحة القمامة المحترقة التي تفوح من شوارع بيروت كلها..."."[1]

"يمد القرد يده فيكسر غصنا أخضر ويحمله مهتاجًا راكضًا نحو المدينة... والنار تشتعل من موطئ قدميه، وقد شبّ في داخله بركان حيواني لا يقاوم، ونهم إلى الدم... الدم ويتدفق "نبع الجنون" ليسقي أهل المدينة..."."[2]

"تخيلت بلقيس حمامة بيضاء زاجلة تطير في سماء بيروت الملوثة بجنون الدمار"."[3]

قدّمت لنا الكاتبة في هذه المقاطع بعض مظاهر الأسى في مدينة بيروت التي تمر بفترة حرب.

2. **البحر**: البحر هو أكبر القوى الكونية مهابة وجمالا، وهو مكان لا متناهي واتساع هائل، شغل البحر اهتمام بعض الروائيين، وشكّل لدى بعضهم هاجسا من هواجس الكتابة الروائية وأحد المكوّنات الأساسية العامرة بالمعاني والدلالات. وقد وظفت الكاتبة البحر وأولته أهمية خاصة، حيث تلجأ إليه في ضغوطاتها اليومية، وقد امتثل لها رمزًا للسكون والراحة، وذلك في قولها: "وقطعة البحر المتبقية لي بعد بناء فندق "الهوليدي إن" لم تكن كالعادة أفقا من الحمرة الجميلة... كان هنالك دخان يعلو عند الأفق ويغطيه..."."[4]

كما وصفت الكاتبة البحر بالملاذ الآمن لجميع الكائنات "لحظات وأفتح أبواب الأفق كلها... لحظات وأسمع خفق أجنحة العصافير وهي تطير عبر النافذة وفوق الأشجار إلى البحر الذي ولا بد أنها تفتقده في سجنها المعدني"."[5]

"جسدك ستمده كسحابة على الشاطئ... ستتركه ينتشر بحجم قدرتك على الحلم التي كدت أن تنساها...

---

[1] الرواية، ص96.

[2] الرواية، ص20.

[3] الرواية، ص48.

[4] الرواية، ص13.

[5] الرواية، ص85.

ستختار مثلي صخرة عالية وداخلة إلى قلب البحر، بحيث حين تتمدد فوقها، وتدير ظهرك إلى بيروت، ستتيقن بعد قليل بأنك مبحر في مركب بحري في وسط البحر تمامًا...".[1]

3. **الشارع:** يعد الشارع جزءًا لا يتجزأ من المدينة وأحد العلامات المكانية البارزة فيها، تنفتح عليها الأبواب وتتحرك من خلالها الشخصيات، وهو أكثر من جغرافيا مكانية، لأنه "الخيط الفاصل بين عالمين: عالم السر وعالم الجهر... إذ عند البيوت والمنازل ينتهي عالم الناس السري ويبدأ عالمهم العلني، حيث يبدأ الشارع النابض بالحياة".[2]

"والشوارع أماكن مفتوحة تستقبل كل فئات المجتمع، وتمنحهم كامل الحرية في التنقل وسعة الاطّلاع والتبدل، وهي لا تقوم على تحديدات ولا حدود ثابتة مما يصعب على الكاتب عملية الإمساك بها".[3]

وتعد شوارع بيروت أحد ساحات الحرب، وقد صورت الكاتبة مظاهر الرعب وغياب الأمان في الشارع: "الرصاصة التي انطلقت من مكان ما لتقطع حبل سلة الخبز التي كانت تعني ببساطة أننا سجناء تمامًا، أن الهرب من ساحة الحرب أضحى مستحيلا، والحصول حتى على رغيف خبز أصبح طموحًا مبالغًا فيه!... خطوة واحدة إلى الشارع ويصيبنا ما أصاب أرغفة الخبز...".[4]

"ورغم معرفتي الأكيدة بأن القطط نفسها لا تجرؤ على التجول في شارعنا، لكني تلفتت إلى دكاكين البقالة المجاورة... وطبعا لم يرد أحد... اقتربت قليلا من النافذة وشققتها قليلًا...".[5]

"ومأساتي التي صرت عاجزة تمامًا عن أكل اللحوم... لكثرة ما شاهدت من جثث مرمية في الشوارع على طول الأشهر الستة الماضية، منذ استعرت الحرب الأهلية.

---

[1] الرواية، ص152.

[2] أحمد زنبير: جماليات المكان في قصص إلياس الخوري، دراسة نقدية، التنوخي للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2009، ص46.

[3] ياسين النصير: الرواية والمكان (دارسة المكان الروائي)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 2010، ص14، 15.

[4] الرواية، ص12.

[5] الرواية، ص21.

بينما اللحم البشري مكدس في الشوارع ومسلوخ الجلد مقطوع الرأس غالبًا... أحسست أن جميع ثلاجات بيروت لم تعد صالحة لغير حفظ جثث القتلى المجهولين... المرميين في الشوارع...".[1]

4. **الوطن:** يعتبر الوطن مكانًا كونه هو الذي يضمنا بين أحضانه، هو البيت الكبير الذي تستريح فيه النفس وتأوي إليه الروح وتأوي إليه الروح، وهو الأرض الرحبة التي نحيا فيها ونموت وندفن فيها، فإن سافرنا نشتاق إليه، وإن عدنا إليه قبّلنا ترابه شوقاً وشغفاً، فالوطن ليس مجرد كلمة تُقال بشكلٍ عابرٍ، إنما مفهومٌ واسعٌ باتساع الحياة، فهو البيوت والشوارع والمدارس والجامعات، هو المساجد والكنائس والأشجار والورود، والأهل والأصدقاء. أما الوطن في الرواية كان وطنًا حزينًا منهكًا من الحرب بين أبنائه، وقد ركّزت الكاتبة على الحزن الذي يسود هذا الوطن: "ولكن كانت سطوري تحمل دائمًا صرختة من أجل التبديل... صرخة من أجل مسح البشاعة عن وجه هذا الوطن وغسله بالعدالة والفرح".

"تنفتح لي دنيا من الأسرار وأنا أستمع إلى الموجة القصيرة، وألتقط الأحاديث الطائرة في فضاء هذا الوطن الحزين".[2]

"لقد انهدم الجدار... صارت الريح مملكتي، وصرت قادرة على الاستماع إلى أي حوار يدور في هذا الوطن الحزين".[3]

"أرى أطفال هذا الوطن الحزين وهم يراقبون فيلم العنف الذي يدور على الشاشات".[4]

5. **الجبل:** هو مكان مفتوح يرتفع عما حوله من الأرض في منطقة محددة، يتميز بقمة صخرية حادة وسفوح شديدة الانحدار، به قمة مرتفعة العلو، وجاء الجبل في الرواية كمظهر من

[1] الرواية، ص24.
[2] الرواية، ص63.
[3] الرواية، ص69.
[4] الرواية، ص70.

مظاهر الطبيعة في بيروت: "كما يشرف جبل من الإسمنت والحديد فوق كوخ لفلاح مسالم في قعر الوادي...".[1]

"التي اخترقها كسهم محشو بالفرح... تلك الدروب القروية الجبلية".[2]

"افتقدت صوت بوق السيارة... افتقدت الحياة... زحام السير... زعيق الأبواق على طريق الجبل".[3]

أرادت الكاتبة من توظيفها هذا المكان أن تعطينا صورة عن الطبيعة في بيروت.

6. الحديقة: مكان مفتوح على الهواء الطلق وتكون مزروعة بصورة طبيعية أو من صنع البشر بمختلف أنواع النباتات، وقد كانت الكاتبة تملك حديقة، في قولها: "كانت القافلة تهبط سلم البيت إلى الحديقة ومنها إلى سيارتي العتيقة...".[4]

"ليس من الممكن أن أسمع أصواتهم... دكانهم تقع على الناحية الأخرى لحديقة بيتنا... وحديقة واسعة مهملة تفصل بين بابنا الخلفي وبين الجدار الخلفي لمخزنهم...".[5]

وبسبب الحرب توقفت مظاهر الحياة في بيروت، ومنها الاهتمام بالحدائق: "لم يعد البستاني العجوز يهتم بزراعة البنفسج والبانسية (الهرجاية) في الحديقة..."،[6] وبسبب الحرب أيضًا لم يعد بإمكان الناس حتى الخروج إلى حدائقهم: "... لم يكن بيننا من يجرؤ على الخروج إلى الحديقة حتى للاستفسار عن صحة الشمس...".[7]

---

[1] الرواية، ص9.

[2] الرواية، ص21.

[3] الرواية، ص37.

[4] الرواية، ص7.

[5] الرواية، ص25.

[6] الرواية، ص34.

[7] الرواية، ص38.

ب. الأماكن المغلقة ودلالاتها:

المكان المغلق هو المكان الذي حددت مساحته ومكوناته كمكان للعيش والسكن الذي يأوي إليه الإنسان ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن، سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين، وهي أشد التصاقًا بحياته اليومية.

وتتوفر في الرواية العديد من الأمكنة المغلقة، وأكثرها حضورًا في النص وهي: البيت، المستشفى، الغرفة، المطبخ، السجن، المقهى، فندق، دكان، الدهليز.

1. البيت: "يشغل البيت حيزًا هامّا في حياة الإنسان، إذ أن البيت هو ملجأ كل إنسان بعد يوم من العناء والشقاء والعمل، وهو غالبًا ما يكون مصدر الراحة والأمن والطمأنينة التي يسعى إليها كل شخص، ويرتبط البيت بذكريات هامة في حياة الشخص تسهم في تشكيل شخصيته، ويعتمد هذا على حجم البيت وشكله وعلى من يعيش فيه".[1]

وقد جعل باشلار للبيت جسدًا وروحًا واعتبره عالم الإنسان الأول الذي يتيح له أن يحلم بهدوء.

ويذهب إلى أنه واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسان، فبدون البيت يصبح الإنسان كائنًا مفتتًا.[2]

وقد مثل البيت بالنسبة للكاتبة في الرواية السجن الذي حصرت فيه بسبب القناصة، وهذا ما يوضحه هذا المقطع: "حين غادرت سيارتي ذلك الصباح، ودخلت إلى البيت سالمة –حتى إشعار آخر– لم أكن أدري أنها المرة الأخيرة التي سأغادر فيها بيتي إلى ما بعد أيام طويلة".[3]

"وإنني عدت وأخي إلى البيت لنلعب دور السجناء".[4]

---

[1] أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، ص31.

[2] غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلس، ص37، 38.

[3] الرواية، ص8.

[4] الرواية، ص8.

"كان الهسكون يحتلون فندق "هوليداي إن" المواجه لبيتنا العتيق والذي يطل فوق أعلى طوابقنا".[1]

كما تصف الكاتبة حالة البيت بعد الإصابة برصاصات تخترق الجدران: "شيء يتحطم، إنه زجاج النافذة في الغرفة المجاورة، ركضت بين غرف البيت أبحث عن غرفة بدون نوافذ... صعقت... اكتشفت أن ليس في البيت حتى ولا غرفة واحدة بلا نوافذ، للمرة الأولى ألحظ أن واجهة بيتنا بأكملها من الزجاج".[2]

"لاحظت أيضًا أن نوافذ البيت كبيرة وواسعة... الرجل الذي بنى هذا البيت لم يكن يفكر بالحرب، كان يفكر بالحب والسلام والأفق".[3]

قدمت الساردة البيت كإطار للأحداث فوصفت ما يجري داخله وخارجه: "في الممشى أمامي على طول الجدار مكتبة تمتد من الأرض إلى السقف...".[4]

"أما بقية الجدار فيغطيها (بوستر) فيه صورة خضراء كثيفة الأشجار...".[5]

"أحمل أشياء يوسف... وأدور بها في البيت باكية... ثم أدخل الدهليز... فالمطبخ...".[6]

2. **المستشفى:** هو المكان الذي يداوى فيه المرضى الذين يلجؤون إليه لذلك الهدف، فهو المكان الذي يقدم أكبر الخدمات الإنسانية، فالمستشفى كخلية نحل لا تهدأ، ففي كل وقت يمكن أن تأتي إليه حالات مستعجلة، حيث أن كل فرد عامل به له وظيفته الخاصة التي لا يمكن الاستغناء عن خدماتها، حيث أن المستشفى "يعد بوظيفته عكس الأماكن الأخرى المغلقة أو المفتوحة كونه يعمل على ترميم ما حطمته هذه الأمكنة في إنسان أرهقه المكان والزمان، فكان

[1] الرواية، ص9.
[2] الرواية، ص40.
[3] الرواية، ص40.
[4] الرواية، ص40.
[5] الرواية، ص41.
[6] الرواية، ص147.

كل مريض يصنع الراحة النفسية ويقدم العلاج الأمثل لمختلف الأمراض لا يجد المريض في سواء كان البيت أو الشارع أو المدينة فيه يستشعر بالاطمئنان ويأمل بالشفاء ".[1]

"المستشفى تغص بالجرحى... وبجثث الذين يموتون ساعة وصولهم...".[2]

"سأعترف لك. لا أجرؤ على الخروج من باب المستشفى. صرت أخاف من الشوارع. وقد علقوا بعد الظهر أمام باب المستشفى لافتة مكتوب عليها: انتبه. قناص يرحب بكم.

سأصعد إلى سطح مستشفاي وأعمل قناصًا...".[3]

وقد حمل المستشفى دلالة الحرب، حيث لم يسلم أيضًا بالرغم من كونه مركزًا للراحة النفسية والاطمئنان والأمل في الشفاء.

3. **السجن:** "إن الحديث عن هذا المكان يختلف عن الحديث عن المكان السابق، فبقدر ما يشعر بالبيت بالراحة والأمان، يشعر السجن بالخوف والضيق والكآبة، إذ يكون الشخص فيه مرغما، ويعامل فيه معاملة قاسية لا يعرفها إلا من عاناها، فالسجن له سمات مختلفة عن أي مكان آخر، لأنه مكان يمارس فيه فعل قمعي ضد الشخص المناوئ للسلطة الحاكمة أو المحتلة المغتصبة، وفي السجن يحرم الإنسان من أبسط حقوقه، وهو حقه في امتلاك حريته".[4]

وبالرغم من كون السجن مكانا لكبح الحريات إلا أنه في الرواية يحمل دلالات أخرى، حيث كان من أكثر الأماكن أمانًا في بيروت: "طلب مني شقيقك الاتصال بهذا الرقم وإبلاغك أنه في السجن...

- في السجن؟ لماذا؟ ماذا فعل؟ ...
- لقد ألقي القبض عليه بتهمة حمل سلاح غير مرخص به !!...

---

[1] الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، ص238.

[2] الرواية، ص68.

[3] الرواية، ص69.

[4] أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، ص50.

وانفجرت أضحك وأضحك وأشهق بدموعي... يا بيروت... يا مسرح اللامعقول !!...".[1]

"ولكن عليّ ألا أنسى الاتصال بمحامٍ من أجل الإفراج عن أخي، لم يضايقني أنه في السجن، فالسجن اليوم هو المكان الوحيد الآمن في بيروت، ولم تقع فيه حادثة قنص واحدة، ولا حادثة خطف! حتى مستشفيات المجانين لم تسلم من الخطف، أما السجن فلم يتذكره أحد بعد...".[2]

4. **الفندق:** هو مسكن يسكن فيه الشخص لوقت قصير مقابل أجر، مؤثثا مفروشًا، وقد يكون مزودًا بأجهزة منزلية ووسائل للراحة والترفيه مع توفير خدمات عديدة، وهو عصب نشاط السياحة في كل دولة، كما يعتبر مكانا للترفيه، فهو مكان مغلق يعتبر إقامة مؤقتة للنزلاء فيه والقادمين من خارج المدينة، أما بالنسبة للكاتبة فقد كان أحد مقرات المسلحين، وقد كان فندق الهوليداي إن مقابلا لبيت الكاتبة، وقد تمركز فيه القناصة، وبثوا الرعب في كل المجاورين للفندق: "كان المسلحون يحتلون فندق "هوليداي إن" المواجه لبيتنا الصغير العتيق".[3]

"قضت العاصمة ليلة هادئة ماعدا طلقات متقطعة في منطقة القنطاري وحول فندي "الهوليداي إن"...".[4]

"كان هناك حريق يتصاعد من مبنى فندق "الهوليداي إن" المقابل لبيتنا...".[5]

5. **الغرفة:** تعد الغرفة المكان الأكثر احتواء للإنسان والأكثر خصوصية، وفيها يمارس الإنسان حياته، ويحمي نفسه، وبمجرد الدخول إليها يشعر الإنسان وكأنه في مملكته ويأخذ حرية أكثر، إذ أنه المكان الأكثر خصوصية واحتواء للإنسان، ولقد تجسدت الغرفة في الرواية على أنها ذلك المكان الضيق العتيق، ولقد بينت الكاتبة حالتها النفسية فيها: "ثم حدث شيء غريب... دخل جسم غريب إلى الغرفة، كائن ساخن الحيوية، مروع النشاط، سمعت صوته

[1] الرواية، ص61.
[2] الرواية، ص97.
[3] الرواية، ص9.
[4] الرواية، ص22.
[5] الرواية، ص40.

يضرب خشب الباب ثم المقعد فالسرير فالباب... في البداية لم أفهم ماذا حدث بالضبط، كانت رائحة حريق خاصة تفوح من الغرفة... كانت رصاصة ما أو شظية قد اخترقت طرف باب الغرفة".[1]

"إنه الليل، ولم يعد أخي. الفراش ليس فراشي. الغرفة ليست غرفتي. صرير باب الخزانة ليس مألوفا لدي. لا أعرف كيف أعالج مزلاج النافذة الحديدي. الأثاث البني الكئيب ليس أثاثي والجدران ليست جدراني. لكني سأنام الليلة في هذه الغرفة، وسأبدأ صفحة جديدة في دفتر تشردي...".[2]

"كانت النار تستعر بسرعة لا تصدق والدخان الأسود يغطي وجه البحر، والقذائف والانفجارات تتعالى والذهول يفترسني... شيء يتحطم، إنه زجاج النافذة في الغرفة المجاورة، ركضت بين غرف البيت أبحث عن غرفة بدون نوافذ... صعقت... اكتشفت أن ليس في البيت حتى ولا غرفة واحدة بلا نوافذ...".[3]

6. **الدكان:** لقد ارتبط الدكان في الرواية وخاصة عند الكاتبة بدكان بائع الحيوانات الأليفة التي كانت عندها تمثل: الحزن، السجن، الأسى. وقد حبست الحيوانات في الدكان شأنها شأن جميع الأشخاص في الحي بسبب القناصة، وهذا ما نجده على لسان الكاتبة: "لا... لست واهمة... الصوت الذي أسمعه، الشبيه باستغاثة جماعية قادم من دكان بائع الحيوانات الأليفة المجاور...

إنها لم تجع بعد... لكنها خائفة ككل أهل هذا الحي السجناء".[4]

"إنه الخريف... وأنا سجينة كبقية سجناء دكان بائع الحيوانات الأليفة...".[5]

[1] الرواية، ص18.
[2] الرواية، ص34.
[3] الرواية، ص40.
[4] الرواية، ص17.
[5] الرواية، ص20.

"... هذا هو يومي الثاني وأنا سجينة ربما كنت دومًا سجينة دون أن ألحظ ذلك، تمامًا كمخلوقات بائع الحيوانات الأليفة".[1]

"ساعتان من الهدوء الطويل... لم أسمع خلالهما سوى انتحاب رعايا دكان بائع الحيوانات الأليفة... وكانت أصواتهم إليّ الخوف والقلق والغضب والحيرة... (تراها أصواتهم أم صوتي الداخلي؟) ... منطقيًا".[2]

"... في الصمت أسمع صوت كائن دكان بائع الحيوانات الأليفة... وقد بدأت تجوع، وتعطش، وتموت شوقًا للشمس".[3]

"وها أنا الآن ممددة على فراشي المكسوّ بآثار القصف ورائحة البارود، أنتظر أن أموت أو أنجو كما ينتظر ذلك أي حيوان أليف في قفص من حيوانات الدكان المجاورة...".[4]

7. **المطبخ:** هو المكان المخصص لإعداد الطعام وتناوله، وهو أحد أركان البيت الأساسية، والذي يتم فيه تخزين الأكل، أما في الرواية فقد ذكرت الكاتبة على نفاذ مخزون الطعام: "حاولت أن أتلهى عن صوت الرصاص بإعداد وجبة طعام... كان في المطبخ بعض ثمرات من البطاطا المنسية في ركن معتم".[5]

"دخلت إلى المطبخ. أشعلت نار الغاز وكانت يدي ترتجف حتى أنني أحرقت أحد أظافري... لقد اشتعل بسرعة عجيبة وفاحت رائحة خاصة. لم أشعر بأي ألم، لكنني غرقت في ذعر مروع.. كم الجسد البشري قابل للالتهاب بسهولة! وحينما كسرت البيضة في المقلاة أذهلني أن بياضها كان ورديا وأن صفارها كان من الدم...".[6]

---

[1] الرواية، ص21.
[2] الرواية، ص25.
[3] الرواية، ص37.
[4] الرواية، ص77.
[5] الرواية، ص23.
[6] الرواية، ص45.

كما ذكرت الكاتبة المطبخ في عدة مواضع أخرى، من بينها: "لا سلاح في البيت على الإطلاق، حتى سكاكين المطبخ ليست حادة".[1]

"وأنا أقرأ كومًا من الصحف القديمة وجدتها مكومة في زاوية المطبخ...".[2]

"وركضت نحو المطبخ أتسلق السلم الخشبي إلى السطح".[3]

8. **المقهى:** يعد المقهى مكانًا اجتماعيًا ذكوريًا بامتياز، وهو المكان الذي تلتقي فيه مختلف طبقات الشعب، وأكثر الأماكن ذكرا في الروايات، ويمثل نموذجًا مصغرًا عن المجتمع ككل، والمقهى كغطاء جمالي على حد قول شاكر النابلسي: "يعتبر علامة من علامات الانفتاح الاجتماعي والثقافي، فنلاحظ أن المقاهي انتشرت في أماكن مختلفة من العالم العربي، فكانت فيه مجتمعات هذه المقاهي منفتحة انفتاحًا اجتماعيا وثقافيًا وفنيًا ملحوظا، فيما لو علمنا أن بعض المقاهي كانت تقوم مقام النادي الأدبي كما كانت تقوم مقام المسرح، حيث يأتي الرواة ويقصون الحكايات والسير الشعبية والأغاني، ويقدم فيها الفنانون والرواة فنونهم وإبداعاتهم، وكلها تمثل مظاهر للانفتاح الاجتماعي والثقافي والفني الذي ساهمت في الحقيقة".[4]

وقد حمل المقهى في الرواية عدة دلالات، منها ما يماثل التعريف السابق، ومنها ما يخالف ذلك وهي كالتالي: "للصحف العتيقة مذاق غريب، كأنها تروي حكاية كل رصاصة أسمعها منذ البداية... كأن كل كوابيس المدينة تعاود انزلاقها فوق صدري كحجر القبر... كأنها الحكواتي العتيق في مقهى مقفر، وأنا المستمع الوحيد، وحكاية عنتر بن شدّاد والزبير، ويوسف والبئر تحولت إلى حكاية لأحد لهولها...".[5]

"أحيانًا أجلس وحيدة في مقهى أراقب اثنين يتحاوران... وبصعوبة أقاوم رغبتي في الجلوس خلفهما لاستراق السمع أو للجلوس مباشرة معهما، وأنا أقول لهما بصراحة: "أرجو أن تسمحا لي

---

[1] الرواية، ص10.

[2] الرواية، ص33.

[3] الرواية، ص45.

[4] شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994، ص195.

[5] الرواية، ص34.

بسماع ما يدور... وبالنفاذ إلى أعماقكما... لن أوذيكما... لن تخسرا شيئًا... أما أنا فسأتعلم الكثير".[1]

"أما فتيات المقاهي فلا بد لهن من الجلوس في فترياناتها وواجهاتها الزجاجية متظاهرات بأنهن يشربن القهوة ويدخنّ السجائر...".[2]

"لم تكن هذه أول من تغادر مكانها في الواجهة لتتجول وتجلس في واجهات المقاهي، كما تفعل أكثر الفتيات، ولكن أحدا لا يلاحظ أنها دمية واجمة، للشبه العظيم بينها وبين أكثر فتيات مقاهي شارع الحمراء...".[3]

"والكراسي في مقاهي الأرصفة عادت تنتظر زبائنها من (ثوار المقاهي) ... لكن، هل يمكن لأي شيء أن يعود كما كان حقا؟".[4]

"حرائق بيروت تلتهم المقاهي والمطاعم القديمة كلها، وتلتهم الذكريات معها بوحشية لا متناهية".[5]

9. الدهليز: هو مكان مغلق تحت البيت، يكون عادة مكان تخزين لمختلف الأشياء، أما في الرواية فقد كان استثناء كونه كان من أكثر الأماكن أمنًا في البيت وفيه احتمت الكاتبة من الرصاصات الطائشة، وقد كان بمثابة ملجأ لها: "... الرجل الذي بنى هذا البيت لم يكن يفكر بالحرب، كان يفكر بالحب والسلام والأفق، وكان حريصًا على أن يطل البحر من كل نافذة حتى من نوافذ الحمام... الدهليز فقط كان بلا نوافذ، ولكن ما الفائدة من استعماله كملجأ، وثلاثة أبواب تنفتح عليه؟".[6]

---

[1] الرواية، ص64.
[2] الرواية، ص221.
[3] الرواية، ص224.
[4] الرواية، ص282.
[5] الرواية، ص342.
[6] الرواية، ص40.

"ووجدتني أجلس على الأرض وحيدة في الدهليز...".[1]

"وفي ذلك الدهليز الضيق كانت انفجارات متلاحقة تضيء أعماقي".[2]

"ما زلت جالسة في الدهليز أحتمي بجدرانه شبه المتلاحقة كرحم حجري".[3]

"... تتلاحق الصرخات ويخيل إليّ أن جدران الدهليز ورفوف المكتبة تردد أصداءها...".[4]

"أصوات... أصوات... أصوات... تتفجر داخل رأسي وتتنافس بصوت عالٍ، ومع كل صوت أشعر بأن امرأة جديدة خرجت من داخلي، ولم أعد امرأة واحدة في الدهليز، بل تناسلت وتكاثرت وازدحم بنا الدهليز، ودوى انفجار رهيب، وكنت واثقة أنه داخل بيتي في مكان ما، وعدت امرأة واحدة، وحيدة في الدهليز على الخط الفاصل بين الموت والحياة".[5]

وما نخلص إليه هو أن الرواية تتوفر على عديد الأمكنة المفتوحة والمغلقة والتي جرت فيها أحداث الرواية، وقد حمل كل مكان دلالة أثرت في مجريات الأحداث، ومنه فالرواية رواية مكانية بامتياز.

[1] الرواية، ص40.
[2] الرواية، ص40.
[3] الرواية، ص41.
[4] الرواية، ص42.
[5] الرواية، ص44.

خاتمة

- وفي ختام هذا البحث خلصنا لعدة نقاط جعلناها كحوصلة للموضوع نقف عند أهمها وقد حاولنا تحقيق جانب من الأهداف المسطرة رغم النقص الذي يعتري عملنا وهي طبيعة كل بحث وأهم هذه النتائج نوردها فيما يأتي:

1. الرواية للكاتبة السورية لغادة السمان تتحدث فيها عن مذكراتها ابان الحرب الاهلية في لبنان وخصصت مدينة بيروت وقد كانت عبارة عن 197 كابوس وآخر يسمى بحلم 01
2. ان عنوان الرواية كعتبة نصية اخذ أهمية بالغة وقد حمل دلالة مكانية صريحة وحقيقية وشكل مفتاحا جماليا للنص
3. تشعب وتعدد مفاهيم المكان واختلاف وجهات النظر حوله فقد اختلفت وتداخلت فيما بينها وقد أعطت له تسميات أخرى كمصطلح الفضاء.
4. ركزت الرواية على وصف الأجواء السائدة في الأماكن مع وصف الأبعاد النفسية والاجتماعية كل هذه الخصائص ساهمت في ابراز جمالية المكان في الرواية.
5. تظهر جمالية المكان في الرواية من خلال اعتبارها الوعاء الذي يحوي الاحداث وتلاحم العناصر السردية مع بعضها البعض مما شكل بناء محكما طبع الرواية بميزة خاصة.
6. ان المكان الروائي ليس الإطار الذي تجري فيه الاحداث فقط بل هو أيضا أحد العناصر الفاعلة والفعالة في تلك الاحداث نفسها.
7. لم تكن بيروت في الرواية مجرد إطار تجري فيه الاحداث انما عبرت عن معاناة وحزن بسبب الحرب بين أبنائها وهو ما أدى الى بروز جمالياتها الفنية.
8. لا تكتمل الشخصية الا في المكان وهذا المكان هو الشاهد على وجودها كما يتنوع المكان في زمنه وتتعدد الروى اليه وفق معطيات السرد.
9. تنوعت الأماكن في الراوية بين المفتوحة والمغلقة مع سيطرة واضحة للمغلقة ومن أبرز الأماكن المفتوحة نجد (المدينة، الشارع) والمغلقة (البيت، الغرفة، السجن)

مجمل القول فان الدراسة التي قمنا في رواية كوابيس بيروت ماهي الا محاولة أولى لدق باب دراسة هذه الرواية، نرجوا اننا وفقنا ولو بالقليل في إعطاء لمحة وجيزة عن جمالية المكان في هذه الرواية والله ولي التوفيق .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ المصادر

1. القرآن الكريم
2. ابن منظور: لسان العرب، (تصحيح) أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999م
3. الرازي: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، ط1، 1979م
4. غادة السمان كوابيس بيروت منشورات غادة السمان بيروت، لبنان، ، ط1، 1976م

❖ المراجع

1. إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، (ب ط)، 2002م
2. ابن فارس: مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، ج5، دار الفكر، بيروت، 1979 م
3. أحمد زنبير: جماليات المكان في قصص إلياس الخوري، دراسة نقدية، التنوخي للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2009م
4. أحمد زنبير: جمالية المكان في قصص إدريس الخوري، دار التوحيدي، الرباط، ط1، 2009م
5. أسماء شاهين: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، دار الفارس، عمان، الأردن، ط1، 2001
6. الأزهري: تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م
7. الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي، دراسات في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010 م
8. أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دار الأمل للطباعة والنشر، (د ط)، 2009م
9. جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط1، ج18، 2000م،
10. حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي: المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م
11. حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000م
12. خالد سعيد: حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العودة، بيروت، ط2، 1982م
13. د. سيزا القاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1978م

14. د. شعبان عبد الحكيم محمد: الرواية العربية الجديدة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014م

15. د. نبهان حسون السعدون: تشكيل المكان في الخطاب السردي، قراءات في السرديات العراقية المعاصرة، دار غيداء، عمان، الأردن، ط1، 2015م

16. شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994

17. عبد العزيز شبيل: الفن الروائي عند غادة السمان، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة. تونس، ط1، 1987م

18. عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة – رواية زقاق المدن)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م

19. علي رحماني: سيميائية العنوان في روايات محمد جبريل (الأسوار، حكاية الفصول الأربعة، حكايات وهوامش من حياة المبتلى)، الملتقى الدولي الخامس (السيمياء والنص الأدبي)، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة،

20. عمر عاشور (ابن الزيبان)، البنية السردية عند الطيب صالح، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2010م

21. غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، دار المجد، بيروت، لبنان، ط2، 1984م

22. مجموعة من المؤلفين: جماليات المكان، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2، 1988م

23. محمد صابر عبيد: فضاء الكون السردي (جماليات التشكيل القصصي والروائي)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015

24. معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ

25. مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 2001م

26. نبيل عبد السلام هارون: الوجيز، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ط1، 1980م

27. ياسين النصير: الرواية والمكان (دارسة المكان الروائي)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 2010،

28. السعيد الورقي: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة (د ط)، دار المعرفة الجامعية، 1430هـ-2009م،

29. جمانة محمد نايف الدليمي: مجلة كفربو الثقافية، الصفحة الرئيسية العدد 29 أيار 2014

30. محمد رضوان: التجريب وتحولات السرد في الرواية السورية، اتحاد الكتاب العرب، سلسلة دراسات 2، دمشق، (د ط)، 2013م

31. ماجد حمود: الخطاب القصصي النسوي، (نماذج من سوريا)، دار الفكر، دمشق، د ط، 2002،

32. نبيل سليمان: أسرار التخيل الروائي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، د ط.

33. خليل موسى: ملامح من الرواية العربية في سوريا، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2006

❖ **المواقع الالكترونية**

1. فندق ويكيبيديا الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org/wiki

2. /http://safdarjmi.blogspot.com/2010/10/blog-post-821

❖ ***الرسائل الجامعية***

1. إسماعيل زعودة: بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، محمد عباس. قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بقايد تلمسان، 2014م

2. سمية بن هوشة: بنية التشكيل المكاني في رواية مواكب الأحرار لنجيب الكيلاني، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، د. ناصر بركة، قسم اللغة والإشراف العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014م

3. كوثر فرحات: جماليات المكان في رواية المقبرة البيضاء لأحمد زغب، مذكرة لنيل شهادة الماستر، د. يوسف بديدة، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، 2016/2015م

4. يوسف جحيقة: مكونات الخطاب السري في رواية "الحالم" لسمير قسيمي، مذكرة الماستر في الأدب الجزائري، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، 2017/2016م

❖ ***المجلات والدوريات***

1. د. خالدة حسن خضر: المكان في رواية الشماعية للروائي الستار ناصر (مقال)، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، ع102،

2. شريبط أحمد شريبط: بنية الفضاء في الرواية غدا يوم جديد، مجلة الثقافة، العدد 115-1997، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة عنابة،

3. صلاح الدين محمد حمدي: الفضاء في رواية عبد الله عيسى السلامى، مجلة الأبحاث، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العراق، مج11، ع1، جوان 2011م

4. كلثوم مدقن: دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح (مقال)، مجلة الأدب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، ع4، 2005م

5. مجلة نضال يوسف: تطور مسيرة إيقاعات الرواية في حلب، الاثنين 7 حزيران 2010

فهرس الموضوعات

دلالة المكان في رواية "كوابيس بيروت" " لغادة السمان "	الصفحة
❖ شكر وعرفان	
❖ مقدمة	أ / ث
❖ مدخل	1 7
✓أولا: نشأة الرواية العربية	2 4
✓ثانيا – نشأة الرواية السورية:	4 7
الفصل الأول	8 24
✓أولا: توطئة	9

✓ثانيا: مفهوم المكان	10 17
✓ثالثا: أهمية المكان ودوره في الرواية	18 19
✓ رابعا: أنواع المكان	19 21
✓ خامسا: علاقة المكان بالزمان	21 22
✓ سادسا: علاقة المكان بالشخصيات	23 24
الفصل الثاني	25 44
✓ أولا: نبذة عن حياة غادة السمان	27 28
✓ ثانيا: التعريف برواية "كوابيس بيروت" (1976م)	28 29

✓ ثالثا: ملخص رواية "كوابيس بيروت"	29 30
✓ رابعا: المكان	30 44
خاتمة	45 47
قائمة المصادر والمراجع	47 51
فهرس الموضوعات	51 54